المُعْتَقَدُ في أَمَالِي اليَزِيْدِيّ

د. عبير جراد النوايسة

جامعة البلقاء التطبيقية – كلية الكرك الجامعية

الملخص

تُعنى هذه الدراسة والمعنونة بـِ "المعتقد في أمالي اليزيدي" بالكشف عن المعتقدات الواردة في كتاب أمالي اليزيدي من خلال شعر الشعراء، وما ارتبط بها من طقوس وعادات وتقاليد. وقد قسمت لدراسة إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة، تناولت المقدمة التعريف بالدراسة وطريقة عرضها، في حين وقف التمهيد عند مفهوم المعتقد والأسطورة وجذورها التاريخية، وتناول الفصل الأول: المعتقد الديني في الجاهلية.ووقف الفصل الثاني عند: المعتقد والطير، أما الفصل الثالث فتناول: المعتقد والإبل واخيراً يأتي الفصل الرابع ليقف عند: المطر والمعتقد.وخرجت الخاتمة بأهم نتائج الدراسة، وأبرز التساؤلات التي أثيرت خلال الدراسة.

Abstract

The Concept of Belief in Amali Al-yazidi's book

Dr. AbeerJaradNawayseh

Al-Balaqa Applied University – Karak Collage

The study aimed at revealing the beliefs embedded in Amali Al-yazidis book through examining the customs and traditions found in the works of poetry. The study were divided in to an introduction, a preliminary, four sections and a conclusion. The introduction, a preliminary, four sections and a conclusion.The introduction introduced the main focus of the study.The preliminary discussed the concepts of belief and myth and their historical roots. The first section explored the religious belief in pre-Islam era. The second section introduced the concept of belief in relation to loirds, while the third presented this concept in relation to camels, the fourth section, on the other hand, investigated the concept in relation to rain. Finally, The conclusion introduced the main finding and the salient questions found throughtthe study.

المقدمة:

لا يزال الشعر الجاهلي معيناً لا ينضب للباحثين والأدباء يتّخذون من مادته أصولاً لدراستهم، وثمة جوانب مهمّة فيه لم يُكشف النقاب عنها بعد، وتحتاج لمن يجلو عنها صدأ الإهمال. فالشعر الجاهليّ يتمتّع بنضج عقلي يثير الإعجاب، فهو شعر يسأل ويناقش ويحاكم ويتمّرد أحياناً، ويثير في وجدان القارئ الإحساس بقيمة هذا الفن العظيم، ويصوّر تُراث الأُمة العريق في طقوسها ومعتقداتها وتجاربها ومشكلاتها. وهذه الدّراسة المعنونة بـِ "المُعتقد في أَمالي اليزيدي" ما هي إلا تجسيد لهذا النضج العقليّ، ولتلك المكانة المرموقة للشعر الجاهلي. حيث تعنى هذه الدراسة البسيطة بتقديم صورة واضحة للمعتقدات الواردة في "أمالي اليزيدي"، التي عكست بدورها دقة وتنوّع المعتقدات في أمالي اليزيدي كما وردت في شعر الشعراء من جهة، ومن جهة أخرى إثراء المعتقدات للجوانب الحياتية المختلفة التي نقلت صورة ناضجة وحيَّة وواقعيّة عن طبيعة الحياة في تلك الفترة، وما ارتبط بها من طقوس وعادات وتقاليد تصوّر الحياة الجمعيّة في تلك الفترة. وقد قسّمت الدراسة إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة. ناقشت في التمهيد مفهوم المعتقد والأسطورة والجذور التاريخية والمتشابكة بينهما، أما الفصل الأوّل فوقف عند المعتقد الديني في الجاهلية من موت وبعث وحساب. وعالج الفصل الثاني "المعتقد والطير" وما ارتبط بهما من عادات وتقاليد حياتية، في حين وقف الفصل الثالث عند "المُعتقد والإبل" في الشعر الجاهلي، مع بيان أهمية الإبل في حياة العربي وما ارتبط بها من طقوس.

ووقف الفصل الرّابع والأخير عند "المطر والمعتقد" وما ارتبط به من مظاهر متعدّدة عكست اتصاله الوثيق بحياة العربي في الجاهلية كالسّقيا والأنواء... الخ.

وأخيراً جاءت الخاتمة لتوثّق أهم النتائج التي توصّلت إليها الدراسة.

وقد أَفَدْت في هذه الدّراسة من عددٍ من المصادر والمراجع التي كان لها أثر في إثراء الدّراسة، ومن أهمها:

كتاب "الإبل في الشعر الجاهلي" للأستاذ الدكتور أنور أبو سويلم،وكتاب "مظاهر الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي" للأستاذ الدكتور أنور أبو سويلم وكتاب "المطر في الشعر الجاهلي" للأستاذ الدكتور أنور أبو سويلم، والطير والمعتقد في الشعر الجاهلي للدكتور عبد القادر الرباعي وغيرها من الدراسات.

فإنْ كنْتُ قد أصبتُ فهذا بتوفيق من الله وفضله، وإنْ قصّرت فمن نفسي، وحسبي أنّي اجتهدت.

الشعر الجاهليّ بين المعتقد والأسطورة.

"الشعر الجاهليّ مصدر رئيسي، يصوّر واقعاً معيشاً للمجتمع الجاهليّ، فيحيطه بمعاناته وعواطفه الداخليّة والخارجيّة وآماله ومعتقداته وثقافته، ولا يعتقد أنّ الشعر الجاهليّ تعبير فرديّ، بل كان الشاعر لسان قومه ومرآتهم التي تعكس حياتهم ورغباتهم وآلامهم وآمالهم، ومعاناة الشاعر نابعة من معاناة المجتمع الذي يوجد فيه، أو هو جزء من هذا البناء"[1] .

ولقد فسّر الشعر الجاهلي عدداً من الأساطير، وحاول طرح تساؤلات المجتمع من قوي إلهيّة وخصوبة وحياة وبعث وموت وأمومة، وكل المظاهر الطبيعيّة المحيطة بالشاعر من حياة نباتية وحيوانية، وجدب، وعلاقته بالعالم الآخر من جنّ وشياطين.

"فالمجتمع العربيّ الجاهليّ له تصّوراته وتساؤلاته التي راودته، فعبّروا عنها من خلال أشعارهم التي حملت قدراً كبيراً من عقليتهم، وقد تفوق الصور لديهم التعبير الشعريّ؛ لأنّ الشعر رسم بالكلمات، فإذا قرن الشاعر صورة النخلة في المرأة ، فهو لا يريد منها الصورة الماديّة من طول القامة، وإنّما الإشارة هنا قد تكون ماديّة إلى أُخرى ميثودينيّة"[2].

والشعر الجاهليّ"لا يزال خالداً مؤثّراً شديد الولع في نفوسنا، عظيم السيطرة على مشاعرنا، متعالياً على مريديه وعاشقيه، دائماً تحسُّ الهيمنة والسطو فيه؛ لأنّه شعر متجدّد في ضمير الأمة يرتَدّ إلى أعماقها المظلمة، ويثير وجداننا نابضاً بعنفوان الفن العظيم، ويعكس تُراث الأمة ومعتقداتها وتجاربها وهمومها ومشكلاتها"[3].

"وهناك العديد من الحقائق التي أثبتها التاريخ، والديّن، والتراث، والفن استخلصت من الأشعار الجاهلية، وما يؤكدّ ذلك أنَّ تلك الحقائق ما تزال تتعايش في ذاكرة الإنسانية، ولا تزال تمارس على أنّها موروث ثقافي، أومن باب العادة، وأحياناً تمارس لا شعورياً"[4].

ونفهم من بعض الممارسات التي تقيمها مجتمعاتنا، وخاصة في مواسم الجَدْب والقحط، والاحتفال بالمواليد، والرّقى والخرزات التي تعلّق في رقاب الأطفال، ولا نُدرك هذه الأبعاد إلا بالرجوع إلّى نصوص الشعر الجاهليّ،وحديث الشاعر عن الظعائن، والأطلال، والخصب، والجدب، والجن، والرّقى... وغيرها، وتلك الصور التي كانت تمت بصله إلى ماضٍ موغلٍ في القدم، ينظر فيه الإنسان إلى كلّ مظاهر الطبيعة المرئية وغير المرئية المحيطة به على أنَّها شيء مقدّس.

"وحينما كان الإنسان يبحث عن ذاته وسط الطبيعة، ويدرك تماماً أنَّ العربيّ الجاهليّ" أكثر تعّرضاً للفناء، وبسبب المظاهر الطبيعية التي تسود المنطقة الصحراوية، فندرة المياه والتنفير، والجدب، والفناء، والطلل الذي هو نقطة فاصلة، ولحظة مأساوية يعتريه أثناءها نوع من القلق الوجوديّ"[5].

فالشعر الجاهلي وثيقة للمجتمع الجاهليّ، وقد أكّد القرآن الكريم في أكثر من موضع أنَّ للعرب في الجاهلية حياة عقائدية ومعتقدات فكرية يعتزّون بها.

"وقد كشفت الأبحاث النفسيّة والأنثروبولوجية، والآثار والنقوش عن أنَّ القصيدة العربية الجاهلية، هي عقل الإنسان على مرّ العصور، بل هي مخاوف وعبادات وعقل باطن بل عالم الأمة العربية العريقة المنبت"[6].

"فالشعر الجاهلي أمدّنا بفيضٍ من معارف قيمة عن الجاهليّة القريبة من الإسلام"[7].

"إضافة إلى النصوص الجاهليّة بلهجاتها المتعّددة من معينيّة وسبأية وحضرمية وأوسائية وقتبانية وثموديةولحيانية وصفويّة، كذلك الكتابات والنقوش المدوّنة ببعض اللغات الأعجمية كالأشورية والعبرانية واليونانية واللاتينية ولغة بني إرم[8].

"والشعر الخالد لا يأخذ معنىً حرفياً ولا تفسيراً محدداً ولا أبعاداً ثابتة؛ لأنّه لغة الروح التي تتسامى على المعنى العقلي المجرّد، وتتعالى عن التفسير المحدد؛ ولأنه يرتد إلى أعماق الإنسان في غموض عواطفه، ورواسب معتقداته وظلمات تراثه؛ ولأن الشعر ليس انعكاساً مباشراً للحياة، وإنما هو رؤية لها، وواقع الشعر متميز عن واقع الحياة، وهو من جانب آخر رؤية لهذا الواقع، يُعدِّل فيه الشاعر ليكون قادراً على حمل مشاعره وأفكاره الخاصة"[9].

-الشعر الجاهلي والأسطورة:

اختلف الباحثون والدّارسون في تعريف الأسطورة، بل إننا نلمح غموضاً في مفهومها من خلال الدراسات الميثولوجيّة التي تناولت الأساطير عند العرب في الجاهلية، وصلتها بالحياة العربية الجاهلية في ذلك الوقت.

فمنهم من قرنها بالخرافات، والأقاويل المنمقة، والكلام الباطل وفي ذلك قيل:

"فتفيد الأسطورة على الغالب، الحادثة القديمة المحفوفة بالمبالغات، حتى الخرافات أحياناً، وتفيد الأقاويل المنمقّة المزخرفة التي لا نظام لها، حتى أنها تشبه الكلام الباطل، وهي تتناول مختلف النشاطات الاجتماعية من أدبية وحربيّة وصناعية ودينية"[10].

وتختلف الأسطورة عن الخُرافة في أَنَّ "فيها بعض الحقائق التاريخية، وأنها خبر تاريخي، أو حكاية تاريخية، بالغت فيها المخيّلة الشعبية أو الابتكار"[11].

"ومنهم مَنْ رأى في الأساطير حكايات القدماء في الدَين مثل (زينو فانيس)، ورأى(سقراط) أنّ صفات الآلهة يمكن اكتشافها،وتحليل أسماء الأصنام، ومنهم من فسر الأسطورة على أنها مرض من أمراض اللغة، ومنهم مَنْ رأى فيها تغلّب عنصر دينيّ، فنسبها إلى الدين، وجعلها تفسيراً أو تأويلاً لشعائر دينية"[12].

أما من حيث الشكل "فهي قصه وتحكمها مبادئ السرد القصصي من حُبكة وعقدة وشخصيات وما إليها، وغالباً ما يجري صياغتها في قالب شعري"[13].

ولا يعرف للأسطورة مؤلف معين؛ لأنها ليست خيال فردي، بل ظاهرة جمعية يخلقها الخيال المشترك للجماعة وعواطفها وتأملاتها، ولا تمنع هذه الخصيصة الجمعية للأسطورة من خضوعها لتأثير شخصيات روحية متفوقة، تطبع أساطير الجماعة بطابعها الخاص، وتحدث انعطافاً دينياً جذرياً[14].

"ويلعب الآلهة وأنصاف الآلهة، الادوار الرئيسة في الأسطورة وتتميز موضوعاتها بالجدية والشمولية.وذلك مثل: التكوين، والأصول، والموت والعالم الآخر، ومعنى الحياة وسرّ الوجود[15].

"وتجري أحداث الأسطورة في زمن مقدس غير الزمن الحالي، وترتبط بنظام ديني معين، وتعمل على توضيح معتقداته، وتدخل في صلب طقوسه، كما تتمتع بقدسية، وسلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم"[16].

"والأساطير كنز من كنوز الإنسانية لا يقدر بثمن فمضمونها شهادة على ماضي البشر، وإدراكهم للعالم وتصورهم إياه، ندرك من خلالها الثابت والمتحول في الخيال الجماعي"[17]

"والأساطير تتجلى على صعيدي القول والفعل كليهما، وتنتظمها الأعمال الواعية واللاشعورية من نشاط البشر في ضروب من الخطاب متنوعة هي التاريخ والدِّين والأخلاق والسياسة والأيدلوجيات والأدب.

وجميعهاأشكال يمكن أن تكون الأسطورة عماداً أو دعامة تتقنع فيها، وتسكنها وتأوي إليها، فتعبر عن تصورات جماعية بواسطة الرمز[18].

"وتعتبر الأساطير قديمها وحديثها مصدراً خصباً من مصادر دراسة الشعوب والمجتمعات وتحليل رؤيتها للكون والمجتمع والإنسان، ومعرفة مواقفها من القضايا الجوهرية التي شغلتها أو ما تزال تشغلها على اختلاف الأقطار والأعصار"[19].

ويبقى السؤال الذي يتردد في أذهاننا: هل عرف العرب الأسطورة؟

"إنَّ المعتقدات والأساطير ليست حكراً على شعب بعينه دون آخر، إنما هي امتزاج بين عقليات وثقافات مختلفة مرت بمراحل زمنية وتكونت ببيئات مختلفة، وبالتالي لا يجوز ربط الأسطورة بعقلية ثابته ومعينة بمنطقة ما، بل يستحسن نسبتها إلى التراث العالمي الذي تطبعه كل منطقة بطابعها الخاص دون أن تمحو جوهره، وتنسى مصدره[20].

وهذا ما دفع (ليفي شتراوس) في تفسيره للأساطير العلمية، فوجدها تنتمي إلى وحده عالمية لاشرقية ولا غربية، فأرجع تلك الوحدة إلى الفكر البشري الموحد في جوهرة.

و"إنالأسطورة تدرك دوماً بصفتها أسطورة، وذلك بالنسبة إلى جميع قرّاء العالم قاطبةً"[21]

ويرى بعض الدارسين أنَّ العرب كانوا على شيء من البلوغ إلى هذه العوالم (الأساطير)، وأنَّ العملية العربية الجاهلية كانت ذات قابلية لخلق الأسطورة[22].

والذين يرونَ أنَّ العرب كانوا على شيء من البلوغ إلى هذه العوامل (الأساطير)، يعتقدون أنهم استوردوها من الأمم الاخرى.

"إنَّ العرب لم يكونوا منعزلين عن جيرانهم، بل كانوا ذوي صلات وثيقة بالأطراف، والتاريخ يشهد على أن الأكاديين والمصريين القدماء قد اخترقوا بلاد العرب.

وازدهار الطرق التجارية التي كانت تنقل مستوردات الهند وإفريقية الشرقية وبلاد اليمن إلى العالم العربي والإمبراطورية البيزنطية"[23].

"لقد احتكّ العرب بغيرهم من الشعوب، ولا شك في أخذهم عنهم الكثير حتى عُبِدَتْ آلهة أشورية في اليمن، وأثّرت حضارة الفنيقين واليونان في اليمنيين، كما ظهر أنه كان للحضارة الأشورية والنبطية تأثير على الحجازيين"[24].

وكان للعرب تأثيرهم على الشعوب المجاورة "مما أدى بـ (هومل) إلى القول أنَّ من المحتمل الشديد أن يكون اليونان قد استعاروا منذ القدم عن طريق التجار العرب الجنوبيين آلهتهم"[25].

"فالعرب تختلف عمن جاورها في بيئتها الاقتصادية والاجتماعية، وتشبه من حولها من الساميين في عاداتهم الوراثية وعقائدهم الدينية؛ وذلك لأن النسل يحتفظ بتراثه القديم مهما اختلف في البيئة كما قال(رابرتسن سميث) [26].

فالأمة العربية في الجاهلية، "تمتاز بخيال تصوري، فهي تتصور الأشياء وتسترجع التجارب، وبعبارة أخرى إنَّ العربي يأخذ شيئاً من المرئيات وشيئاً من المحسوسات ثم يركب منها صورة ليست بجديدة، بل كما يشاهدها كل ذي عينين في عالم المرئيات، فيصفها في الحالة الذهنية المخصوصة لتلك الظروف"[27].

ومن هنا ينبع سلطان الأسطورة وتأثيرها على النفس لأنها "تعطينا ذلك الإحساس بالوحدة، الوحدة بين المنظور والغيبي بين الحي والجامد بين الإنسان وبقية مظاهر الحياة..."[28] وأخذ هذا الإحساس يُنغصُ عليه حياته، فشعر أن وجوده في هذه الحياة وجود زائل وقتيّ.

"والواقع الوحيد للإنسان هو أنه إما طعام في بطون الطيور، أو رفات في قبر، وما من واقع آخر للإنسان"[29].

الفصل الأول:

المعتقد الديني:

ينطلق مفهوم المعتقد الديني من خبرة الجاهليين في تفسير ظاهرة الموت، وكيفية وقوع الموت وحدوثه "فقد اعتبره بعضهم حدثاً طبيعياً يحدث للإنسان كما يحدث لأي شيء آخر في هذا الكون من التعرض للهلاك والدّمار، واعتبره بعضهم مفارقة الروح للجسد وهم الذين اعتقدوا بالثنائية وبالازدواجية في حياة الإنسان، أي بوجود جسد وروح، واعتبره آخرون موت للنفس، وبوفاة النفس يتوفى الجسد، ويصيبه السكون، فالموت عندهم مفارقة الروح للجسد"[30].

وقيل أيضاً:"فإذا مات الإنسان خرجت روحه من أنفه، أو من فمه فينفض الإنسان نفسه، وإذا مات ميته طبيعية يُقال عن الميت: مات حتف أنفه، ومات حتف فيه... وكانوا يعتقدون أَنَّ المريض تخرج روحه من أنفه وأمّا القتيل والجرح فتخرج روحه من موضع جرحه"[31].

"ويقال: زهقت نفسه زهوقاً: خرجت روحه، وفي الحديث إنّ النحر في الحلق واللّبّة وأَمِرّوا الأنفس حتى تزهق، أي تخرج الرّوح من الذبيحة ولا يبقى فيها حركة، ثم تسلخ وتقطع"[32].

فهم يتصورون إذن أنَّ روح الإنسان كائن مستقل إذ فارق الجسد مات.

(والرمق: بقية الحياة، وبقية الرّوح، وقيل" هو آخر النفس"[33].

فكأنهم تصوروا أن الشخص المريض، أو الجريح، قد ودع معظم نفسه ولم يبق من روحه إلا بقية باقية لا تزال في جسده.

البعث والحساب:

لم يكن كثير من الجاهليين يؤمنون بالبعث والحساب، وقد ورد في القرآن الكريم إشارات كثيرة لذلك لقد رأوا أن الموت هو نهايتهم في هذا الكون، وأنهم غير مبعوثين، لذا تعجبوا من قول الرسول –صلى الله عليه وسلم– بوجود البعث والحساب وتعجبوا من قوله تعالى:" وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين"[34].

"فرأى من أنكر البعث من أهل الجاهلية أن الحياة حياة واحده هي حياتنا التي نحن فيها في دار الدنيا، ولا يكون بعد الموت بعث ولا حساب"[35].

ومن قال بذلك منهم فهم(الدهريون)،"والدهرية" هم الذين يقولون بإسناد الحوادث إلى الدهر، واستغلال الدهر بالتأثير والدهر عندهم هو حركات الفلك، وأنَّ العالم يدار بمقتضى تأثير هذه الحركات والعرب يقولون به ولا صانع سواه"[36].

"وعقيدة الدهرية ترجع إلى بعض مبادئ الصائبة فهي خمسه : الربّ، والنفس، والمادة، والدهر، والفضاء"[37].

"وأمّا عبادتهم الله وتقربهم إلى الآلهة وهي لمصلحة دنيوية، لنفع ولزيادة في مال ولدفع الشر (شر الأذى) والأمراض، وعيون الحساد، ومن كل ما هو شرّ، أما الآخرة فلا علم لهم بها[38].

وهي "عند الزنادقة فكرة ملحدة تناسب أفكارهم الأخرى، وهي تؤدي إلى رفض البعث رفضاً قاطعاً، وتكل تدابير الحياة والموت للآخر[39].

وفهم الدهر على هذا النحو سائغ في الشعر الجاهلي، فالدهر هو الزمان المعروف"[40].

و"الدهر عند الجماعةلا يتعارض مع ايمانها بالله سواء كانوا من أهل الكتاب أو المشركين.

غير أنَّ فريقاً من الجاهليين كان يؤمن بالبعث والحساب، وهو أمرٌ ثابتٌ عندهم."وسواء أكانت معرفة العرب له من إرث أبيهم إبراهيم أم انتقلت إليهم من اليهود والنصرانية لذلك انعكس الإيمان باليوم الآخر إلى تعبير في الشعر الجاهلي غير أن ذلك التعبير لم يكن من التفصيل والدقة على نحو ما نجد في الديانات الأخرى"[41].

ولقد كان الذين يؤمنون بالبعث والحساب يتصورنه رحلة طويلة شاقة، مثل رحلاتهم الطويلة في الصحراء العربية الممتدة الأطراف، يتطلب راحلة قوية تحملهم إلى حيث يُحشر الناس، ولذلك فهم يستشهدون على ذلك ب (العقيرة) أو (البلية)، وقد حرصوا على وجود هذه الراحلة بجانب قبورهم ليمتطوها عند البعث.

"وفكرة الانتقال إلى الحياة الأخرى بوسيلة من الوسائل قديمة عريقة وجدت عند بعض الشعوب القديمة، ولكنّها اختلفت باختلاف البيئة التي يعيش فيها الشعب فوسيلة الانتقال عند الشعوب التي تعيش على ضفاف الأنهار وشواطئ البحار، غير وسيلة الأعرابي في صحرائه؛ لذلك نجد أن القدماء المصريين كانوا يتصورون هذه الرحلة ملاحة في بحر الأبدية يتطلب سفينة متينة التركيب ذات أشرعه وأمراس؛ليعبروا إلى عالم الأبدية. ولهذا كانوا يضعون في توابيت الموتى تعاويذ سحرية"[42].

البَلِيَّة أو (العقيرة):

"والبلية: هي ناقة تعقر عند القبر فمذهب مشهور، والبلية أنهم إذا مات منهم كريم بلّوا ناقته أو بعيره، فعكسوا عنقها وأداروا رأسها إلى مؤخرها وتركوها في حفيرة لا تطعم ولا تسقى حتى تموت وربما أحرقت بعد موتها، وربما سُلخت ومُلىء جلدها تماماً وكانوا يزعمون أن من مات ولم ينل عليه حُشِرَ ماشياً ومن كانت له بلية حُشِرَ راكباً على بليّته"[43].

وقد اختلفوا في أسباب عقر البلايا عند القبور:

"قال ابن السيد فيما كتبه عن كامل المبّرد: اختلف في سبب عقرهم الإبل على القبور فقال قوم: إنما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقره من الإبل في حياته وينحره للأضياف"[44].

وقد ورد هذا المعنى في شعر زياد بن الأعجم في رثائه للمغيرة بن المهلب بن أبي صفره،حيث يطلب منهم أن يعقروا الإبل على قبره المُغيرة مكافأة له على ما كان يعقر من الإبل في حياته، وما ينحره للأضياف من الإبل، وأن ينضحوا بدمائها جوانب قبره

فَـــإِذَا مَـــرَرْتَ بِقَبْـــرِهِ فَـــاعْقِرِ بِـــهِ كُـــوْمَ الهِجَـــانَ وَكُـــلَّ طِـــرفٍ ســـابِحِ
وَانْضَـــحْ جَوَانِـــبَ قَبْـــرِهِ بِـــدِمَائِها فَلَقَـــدْ يَكـــوُنُ أَخَـــادِمٍ وَذَبَـــائحِ[45].

وقد أشار أبو زبيد الطائي إلى مفهوم (البليّة) أو (العقيرة) التي تعقر عند قبر الميت في حديثة عن نساء مسلبات في مأتم فشبههن بالبلايا:

كَالبَلايَـــا رُؤُوسُـــهَا فـــي الوَلايـــا مَانِحَاتِ السّمُومِ حَرَّ الخُدُودِ[46].

وقد قال قوم:"إنما كانوا يفعلون ذلك إعظاماً للميت لما كانوا يذبحون للأصنام، وقيل إنما كانوا يفعلونه لأنَّ الإبل كانت تأكل عظام الموتى إذا بليت فكأنهم يثأرون لهم"[47].

ومما قيل أيضاً "ولا أعتقد أن نحر الإبل على القبر، وتبليله بدم الإبل المذبوحة، مجرد عاده جاهلية يراد بها إظهار تقدير أهل الميت له، أو تمثيل كرم الرجل حتى بعد وفاته، بل لابد أن يكون هذا النحر من الشعائر الدينية والعقائد الجاهلية التي لها علاقة بالموت، وباعتقادهم أن موت الإنسان لا يمثل فناءً تاماً، وإنما هو انتقال من حالٍ إلى حالٍ"[48].

وكان زعم الجاهليين أيضاً"أن الإنسان اذا مات أو قُتلْ اجتمع دم الدماغ أو أجزاء منه فانتصب طيراً هامة، ترجع إلى راس القبر كل مئة سنة"[49].

"ويرجع هذا إلى عقيدة قديمة تعتبر الدم مقراً للنفس، بل تجعل الدم معنى النفس، والنفس في معنى الدم، وذلك للصلة الوثيقة بين الدم والنفس، ولأن الإنسان إذا قُتِلَ سالَ دمه فتخرج روحه بخروج الدم من الجسم أي خروج النفس من الدم بعد أن كانت كامنةً فيه، ويمثل هذا الرأي العبرانيينأيضاً في صلتها بالدم ورأي غيرهم من الشعوب[50].

ومنه أيضاً "وكان اعتقادهم أنَّ مقرّ الدم ومركز تجمعه الدماغ، فلا غرابة أن تصوروا أن الروح تنصب فيه، فيكون هامةّ تخرج من الرأس وتطير، ويكون خروجها من الأنف أو الفم لأنَّ النفس يكون منهما ولهذا سموا الدماغ (الطائر)لأنهم تصوروه على صورة طير [51].

وقد وردَ عن العرب الجاهليين أيضاً:"أن (الصدى) ما يبقى من الميت في قبرهِ وهو جثة وقيل حشوه الرأس، أي دماغ الإنسان الهامة أو الصدى وكانت العرب تقول إن عظام الموتى تصير هامة فتطير وقال بعض الإخباريين: إن العرب تسمي ذلك الطائر الذي يخرج من هامة الميت إذا بُليَ الصّدى[52].

ولذلك كانت تسطير على أشعارهم فكرة "حتمية الموت" فقد وقف الشاعر الجاهلي عند مفهوم الموت مفكراً متأملاً وانتهى إلى حقيقته محتومة وهي أن الموت انقطاع لهذه السلسلة المتصلة من الأيام والليالي التي تسمى الحياة، فالموت هو سكون الحياة وجمودها، وانقطاع، وتوقف النشاط والحركة.

فالبيئة الجاهلية بصحرائها المترامية الأطراف، وطبيعة الحياة العربية القاسية وسط بيئة صحراوية قاحلة، والمطر الشحيح، والمرعى الضئيل، لذا كانت نظرة الجاهلي إلى الموت نظرة يقينية حتمية لا يراودها شك.

فالإنسان لا حيله له في دفع الموت، فهو أمرٌ مقدر مرسوم، يُسرع إليه الإنسان وهو مَدَجّج بالسلاح، فارس مغوار، ولا يستطيع الإنسان أنْ يؤخره أو يدفعه بأنه طريقه.

كما يرى الشاعر زياد بن الأعجم:

وَكَفـــى لَنَـــا حَزَنـــاً بَبْيـــتِ حَلّـــهُ   أُخْـــرَى المَنُـــونِ، فَلَـــيْسَ عَنْـــهُ بِبـــارِحِ
مَـــاتَ المُغيـــرةُ بَعـــدَ طُـــولِ تَعَـــرُّضٍ   لِلْقَتْـــلِ بَـــينَ أَسِـــنَّةٍ وَصَـــفائِحِ
والقَتْـــلُ لَـــيْسَ إلـــى القِتـــالِ ولا أَرَى   حَيّـــاً يُؤَخّـــرُ للشَّفيـــقِ النَّاصـــحِ[53].

والإنسان مُطالب بان يكون جلداً، وكذلك فإنَّ الحياة لا تقف على موت أحد فلا طول الحياة وقصرها، ولا الأماني بطول العمر، ولا تعليل المرءِ نفسه بالخلود يدفع عنه شبح المنية والموت، فهو عرضه للموت في كل لحظة من لحظات حياته.

قال الشاعر أبو زبيد الطائي:

إنَّ طـــولَ الحَيـــاةِ غَيـــرُ سُـــعُودِ   وَضَـــلالٌ تأميـــلُ نَيـــلِ الخُلـــودِ
عُلَّـــلَ المَـــرءُ بِالرَجـــاءِ وَيُضِـــحي   غَرَضـــاً لِلمَنُـــونِ نَصْـــبَ العُـــودِ
كُـــلَّ يَـــومٍ تَرميـــهِ مِنهـــا بِرَشْـــقٍ   فَمُصـــيْبٌ أَوصَـــافَ غَيـــرَ بَعْيـــدِ(54)

فلا سبيل إلى دفع الموت مهما حاول الإنسان جاهداً، فهو أمرٌ محتومٌ لا مفر منه، وهو يلاحق الإنسان في كل لحظة من لحظات حياته وفي ذلك يقول متيم بن نويرة:

وَقَصْرَكِ إِنّي قَدْ شَهِدْتُ فَلَمْ أَجِدْ   بِكَفَّيَعَنْهمْ لِلْمَنِيَّةِ مَدْفَعَا

فـــلا تَفْـــرَحَنَّ يومًـــا بِنفْسِـــكَ إِنَّنِـــي أَرَى المَـــوْتَ طلَّاعـــاً عَلـــى مَـــنْ توقَّعَـــا[1].

وأَمام هذا الإحساس الدائم بوطأة الموت يصل الشاعر إلى حقيقة مفادها أنّ نهاية الإنسان وواقعة الوحيد هو أنّه إما أن يكون طعاماً في بطون الطير أو رفاتاً في قبر،أو طعاماً للسباع والوحوش، كما يرى الشاعرمّضرس بن سُلَيْط:

قَـــوْمٌ كَـــزَادِ أبـــي سَـــعْدٍ وَكُـــلُّ فَتًـــى لِمُظْلِـــمِ القَعْـــرِ أو لِلطَّيْـــرِ والسَّـــبُعِ[55].

لقد طوى الموت أُمماً كثيرةً، فبادت وأصبحت أثراً بعد عين، وانتهت ثمود وإرم وعاد وإياد وجديس وطسم، فالدهر يتغير ويتبدل ولا يبقى على حالٍ.

"وعندما يتعرضون لحتمية الموت وتفاهة ما يختصمون عليه، وبطش الدهر يتعزّون بمصائر مَن قبلهم من الأمم القديمة ذات البأس والشدة وبمصير ذوي النعم، وأصحاب الأصناع، وأصحاب الملك، لكن المال والملك والقوة لا تدوم ولا تدفع المنية عن البشر"[56].

قال أبو زبيد الطائيّ:

مِـــن رجـــال كـــانوا جبـــالاً بُحُـــوراً فَهُـــمُ اليّـــومَ صَـــحْبُ آل ثَمـــودِ
خَـــانَ دَهـــرٌ بِهِـــم وكـــانوا هُـــمُ أهـــلَ عَظـــيْمِ الفِعـــالِ والتّمجيـــدِ[57].

وقد توصل الشاعر الجاهلي إلى هذه النتيجة بعد تأمُّلٍ وتمحيص فيما حوله، وقد رأى أن الممالك العظيمة قد زالت واندثرت، وأن الملوك والعظماء من الفرس وقوم تبع الذين كانت في أيديهم أسباب الحياة وملذاتها فضلاً عن تأليههم وتقديسهم يعجزون عن حماية أنفسهم من الموت. وفي ذلك قال مُتمم بن نويرة:

وَعِشْـــنَا بخَيْـــرٍ فـــي الحَيَـــاة وَقَبْلَنـــا أَصَابَ المَنَايَا رَهطَ كِسرى وَتُبَّعا
فَـــإن تَكُـــنِ الأيـــامُ فـــرّقْنَ بَينَنـــا فَقَدْ بَانَ مَحموداً أَخِي يَوْمَ وَدَّعَا[58].

وفي ظِل هذه الحياة التي يملؤها الإحساس المفعم بعنف الحياة وقسوتها، ومجابهة حتميةالموت تولدت في المجتمع الجاهلي بعض العادات والتقاليد والمعتقدات الدينية التي تظهر لنا انتقاد الجاهليين للرؤية الواضحة بسبب غياب الدين، واعتقادهم بوجود شكل من أشكال الحياة بعد الموت.

ولأن الأديان والمعتقدات كما يرى محمد أركون:"هي أنماط لصياغة طقسية وشعائرية تساعد على دمج الحقائق الأساسية وصهرها في أجسادنا لتتحكم بوجودنا كله"[59].

"ولذلك نسيج فكرهم طقوساً جنائزية كما فعلت الشعوب الأخرى التي يظهر الاختلاف فيها جلياً لتعلقها بالمعتقد الديني"[60].

"فمثلاً طقوس الدفن عند الإنسان (النياتدرتالي) إباب (الباليوليت) الأوسط وجدت ترتيبات خاصة بالدفن خوفاً من عودة الروح إلى الجسد، لأن الروح قد تزودت بقوى تفوق قوى الأحياء بعد عبورها إلى المستوى الآخر[61].

---

(56) اليزيدي، أمالي اليزيدي، ص207.

ومن شعائر الدفن عند الجاهليين أنهم كانوا يكفنون الميت مع وضع الحنوط ثم يُحمل على سرير، كما دفن العرب موتاهم بملابسهم وغطوّا وجوههم إذا توفّتهم المنية بالأماكن المقفرة"[62]. ثم إنزال الميت إلى قبره ورص الحجارة فوقه وإهالة التراب عليه.

يقول زياد بن الأعجم:

آب الجُنُـــــــــودَ مُعَقّبـــــــــا أَو قَـــــــــافِلاً ... وَأَقَـــــامَ رَهِـــــيْنَ حَفِيْــــرَةٍ وَضَـــــرَائحِ[63].

وقول أبي زبيد الطائي:

فِـــــي ضَـــــرِيحٌ عَلَيْـــــهِ عِـــــبْءٌ ثَقِيْـــلٌ ... مِـــــنْ تُـــــرَابٍ وَجَنْـــــدَلٍ مَنْضُـــــودِ
فِـــــي ثِيَـــــابٍ عِمَـــــادُهُنَّ رِمَـــــاحٌ ... عنـــدَ جُـــرْدٍ تسْـــمُوَّ الصِّـــيْدِ[64].

وقول مُتمم بن نويرة:

لقـــد كفَّـــن المِنْهَـــالُ تَحـــتَ رِدَائِــهِ ... فَتًى غَيرَ مِبْطَانِ العَشِيّاتِ أَرْوَعَا[65].

وقول دريد بن الصّمّةِ:

إذا هَـــبَطَ الأَرضَ الفَضَـــاء تَزَيّنَـــتْ ... لِرُؤيتــــه كَالمَـــأْتَم المُتَبَـــدِّدِ[66].

وقول مالك بن الريب:

وقومـــا إذا مـــا اســـتلَّ روحـــي فهيّئَـــا ... لِـــيَ السِّـــدْرَ والأكفـــانَ عنـــد وفَاتِيَـــا
بأنّكمـــا خَلّفتُمـــانِي بقَفْـــرةٍ ... تَهِيْلُعلـــيّ الـــريحُ فيهـــا السّـــوافيا[67].

وقول طريف بن المُخارق العبسي:

فـــإنَّ الـــذي تَبلـــينَ قَـــدْ حَـــالَ دُوَنـــهُ ... تُـــرابٌ وَزوراءُ المَقـــامِ دَحُـــولُ
فـــأيَّ فَتًـــى وراوهُ ثُمَّـــتَ أقْبَلَـــتْ ... أكفُّهُـــم تَحْثِـــي مَعَـــاً وتَهِيْـــلُ[68].

ومن طقوسهم في المأتم والإعلان عن موت الشخص البكاء والعويل والنياحة على الميت، "فكان العرب يُوصون أهلهم بالنوح والبكاء عليهم إذا ماتوا، وبقدر ما يكون الميت عظيماً بقدر ما تكون النياحة عليه عظيمة وطويلة"[69].

"وهي تستمر مدة سبعة أيام، تندب فيها النساء وتنوح في الصباح والمساء، وفي أيديهن النعل يصفعن بها وجوههن وصدورهنّ[70].

فقد بالغ الشعراء في تصوير أحزانهم، وعظم مصيبتهم، وإظهار الجزع على مَنْ فقدوا ووقفوا على قبورهم مثنين على خصالهم.

فالشاعر زياد بن الأعجم يصور عظم مصيبته ويبين مآثر الفقيد حتى أن النساء الأرامل يبكين وينحن عليه كما أن الزمانوالدين يبكيان ويصيحان عليه:

وَإذَا يُنَـــاحُ علـــى امـــرِئٍ فَـــتَعْلَمَنَّ ... أَنَّ المُغيـــرَةَ فَـــوقَ نَـــوْحِ النـــائِحِ

يَبْلَـــــي المُغيْـــــرَةَ دِيْنُنَّـــــا وَزَمَانُنَـــــا والمَعُـــــولاتُ بِرَنَّـــــةٍ وَتَصَـــــايُحِ[2].

كمايطلب من عينية أن تبكي ذَا الفعال الحميدة، صاحب الكرم، ناصر الأرامل والضعفاء:

يـــا عـــين فـــابكي ذا الفعـــال وذا النـــدى بَمَـــــدامعٍ سَـــــكْبٍ تَجـــــيءُ سَـــــوافِحِ
وَابْكِيـــهِ فـــي الـــزّمنِ العَثُـــورِ لَكُلّنِـــا ولِكُـــــلّ أَرْملَـــــةٍ وَرَهْـــــب رازِحِ[71].

وأسبغ الشاعر متّمم بن نويره على أخيه مالك صفة الكرم، فهو ملجأ للفقراء، والضعفاء والأرامل، يعقر إبله للأضياف في ليالي البرد القارص:

فعينـــــي هَـــــلّا تبكيـــــانِ لِمَالـــــكِ إذا أذرَتِ الـــــريّحُ الكَنيـــــف المُمَزَّعَـــــا
وَهبَّـــتْ شِـــمالاً مـــن تِجاهِأَظـــايف إذا صَـــادَفَتْ كَـــفَّ المغـــيضِ تقفّعـــاً
وللضّـــيف إنْ أرْغَـــى طَرُوقـــاً بِعيـــرَهُ وَعَانَبرَاهُ القِّد حتى تَلَنَّعَا(72)

وقول (مضرس بن سليط) ويدعو عينية أن يبكيا بكاءً موجعاً حُزنا على فقد (زُفر):

ابْكِـــي عَلَـــى زُفْـــرٍ إنْ كُنْـــتِ بَاكِيَـــةً وَصَاحِبِيْهِ بُكَاءِ المُثَبَتِ الوَجِعِ[(73)].

وعلى الرغم من تصبّر الشاعر وتجلّده، إلا أن دموعه سالت من عينيه غزيره على فقد أخيه، وهذا ما قالهُ الشاعر (نهشل بن حري) في رثاء أخيه مالك:

إذا عَبْـــــرَةٌ وَدَّعْتُهَـــــا بَعْـــــدَ عبْـــــرَةٍ أَبَتْ وَاسْتَهَلّتْ عَبْرَةٌ وَدُمُوعِ[74].

وقول أوس بن حجر في رثاء عمرو بن مسعود الأسدي:

يَـــاَعَيْنَ، جُـــودِي عَلَـــى عمـــرِو بـــن مَسْـــعُودِ أَهْلِ العَفَافِ وأَهْلُ الحَزْمُ والجودِ[75].

ومن عادات العرب ومعتقداتهم دعائهم للميت بقولهم (لا تبعد)"فالميت عند وضعة في قبره يقال له لا تبعد، أي أنه وإن ذهب عنهم سيكون دائماً معهم في قلوبهم، ولعل هذا التفكير هو الذي حملهم على إخراج حصته مما كانوا يأكلونه ويشربونه ويسمونها باسم الميت، وعلى زيارة قبور الموتى والجلوس عندها وضرب الخيام حولها، وعلى مناجاة صاحب القبر بذكر اسمه وتحيته؛ لأن روح الميت في رأيهم حية لا تموت ولهذا كانوا يسمونها بصبّ الماء على القبر[76].

كقول مالك بن الرّيب:

يَقُولُـــــونَ لَا تَبْعَـــــدْ وهُـــــمْ يَـــــدْفِنُونِي وَأَيـــــن مَكـــــانَ البُعْـــــدِ إلاّ مَكَانِيَـــــا[77].

وقول الشَّمَرْدَل

فَـــــلاَ تَبْعَـــــدْ فَلَـــــمْ تَـــــكُ مُرْثَغِنّـــــاً وَلَا خَطِـــــلَ اليَـــــدَيْنِ وَلَا اللّسَـــــانِ[78].

الفصل الثاني:

الطير والمعتقد:

"ارتبط الطير في الشعر الجاهلي ارتباطاً وثيقاً بمعتقدات دينية بعيدة الجذور، وقد كان الإنسان ومصيره قُطب هذه المعتقدات وأساسها الذي ترتدُّإليه العلامات المختلفة في هذا المجالفالإنسان في خوفه من الموت، وفي شنّه الحرب ضد أعدائه وفي طلبه الثابت للخلود وفي تفاؤله وتشاؤمه، كان يستذكر الطير ويستدعي فيه أحوالاً وصوراً مناسبة لكل مقام"[3].

فكان للطيّر في الشعر الجاهلي أهمية كبرى،"ذلك لأنه يشكل بنيه أساسية من أبنية العقلية الجاهليةبما فيها العقيدة الجاهلية، ونظرتها للإنسان الجاهليّ وحقيقة وجوده في حياته وموته"[79].

فالشاعر الجاهلي أكثرَمن اقتران الطير بالموت الإنساني فإذا أراد أن يعبر عن قتله لعدوه، جعل الطير تحوم حول جُثث العدو، فالطير يمثل النقيض الأكبر للحياة، بل هو العدو الألد للإنسان، يتلذذ بموت الإنسان، فنراهُ يتراقص حول جثث الموتى في المعركة فرحاً طرباً، قال المهلهل بن ربيعة:

وَهُمَّـــامُ بـــنُ مُـــرّةَ قَـــدْ تَرَكْنَـــا عَلَيْـــهِ القَشـــعمانِ مِـــنَ النُّسُـــورِ[80].

لذا فإنَّ حوم النسور الكبيرة حول جثث الموتى يمثل فناءً، ويبعث في النفس الخوف من الموت، وهذا المظهر وهو التقاء الطير بحث القتلى استحوذ على خيال الشاعر الجاهلي وظلّ يُتابعهُ باهتمام.

"فالطير في خيال الشاعر الجاهلي هو المستفيد الاكبر من الموت البشري، أو القتل البشري بمعنى أدق، لذلك حرص الشاعر على أن يؤكد هذه الحقيقة بابتداع صور شتى"[81].

لقد ارتبطت صورة الطير عند الشاعر الجاهلي بصورة الموت لذلك أصبحت "عكوف الطير"، معادلاً موضوعياً لفكرة الموت، لذلك نلحظ فكرة التقاء الطير بجثث الموتى في الصحراء المقفرة، ولعلّ ملاحظتهم هذه جاءت من ملاحظتهم أن للطير قدرة متفوقة في الوصول إلى أماكن مرتفعة مجهولة، وهم عاجزون عن معرفة ما يعرفه الطير، لذلك يرى الشاعر أبا زبيد الطائي يصور مشهد ابن اخته اللجلاج الذي خلّفهُالقوم في الصحراء بعد يأسهم من عودته معهم فخلّفوه في صحراء مُجدبة_وغادروه_ للطير تحوم حوله وتنهش لحمهُ:

يَئِســـــوا ثُـــــمَّ غـــــادَروهُ لِطَيْـــــرٍ عُكَّـــــفٍ حَوْلَـــــهُ عُكُـــــوفَ الوُفُـــــودِ(82).

ومنهُ قول الشمردل بن شريك في تصوير مشهد الفقد المتجمع، فيصور الحزن على فقد أخيه بصورة هاتفةٍ (حمامَة) فوق الغصون تفجَعت لفقد طائرها:

وَهَاتفَـــــةٍ فـــــوقَ الغُصُـــــون تَفَجّعَـــــت لفَقْـــــدِ حَمَـــــامٍ أَفْرَدَتهـــــا حَبَائِلَـــــهْ
مـــــنَ الـــــورقِ بالأَضْـــــيافِ نواحَـــــةُ الضَـــــحَى إذا الغَرْقَـــــدُ التَفّـــــتْ عليـــــهِ غَياطِلَـــــهْ(83).

ونجد هذا المعنى يتكرّر عند الشاعر (نَهْشل بن حَريّ) في رثاء أخيه، فعند سماعه صوت هديل الحمام تذكّر أخا مالكاً، ففاضت عيناه بالبكاء:

إذَا عَبْـــــرَةٌ وَدّعْتُهَـــــا بَعْـــــدَ عَبْـــــرَةٍ أَبَـــــتْ واسْـــــتَهلَّتْ عَبْـــــرَةٌ ودُمُـــــوعٌ.
إذا رَقَـــــأَتْ عينـــــايَ ذَكّرنـــــي بـــــهِ حَمَـــــامٌ تَنَـــــادَى فـــــي الغصـــــونِ وَقُـــــوعُ
دَعْـــــوتَ هَـــــدِيلاً فاحترمْـــــتُ لِمَالِـــــكٍ وَفي الصَّدْرِ مِنْ وَجدٍ عَليهُ صُدُوعُ[84].

وقد كان بعض الطير يبعث على الفأل،فسماعك لصوت الحمام يبعث في النفس لحناً شجياً، ويُحرّك في الإنسان شعوراً بالوجد.

أَإِنْ غَـــرَّدَتْ فـــي بَطْـــنِ وَادٍ حَمَامـــةٌ تُجـــاوبُ أُخـــرى مَـــاءُ عَيْنَيـــكِ غاســـقُ
كَأَنَّـــك لـــم تَســـمعْ دُعـــاءَ حَمامَـــة بِليلٍ ولمْ يُحزنْكَ جارٌ مُفارِقُ((85).

فتغريد الحمامة يبعث في النفس تذكر الأحبة ممن فارقوا الأهل والديار.

وفي ذلك يقول المثقّب العبدي:

وَتَســـمَعُ لِـــذُّبَابِ إذا تغنـــى كَتَغْرِيدِ الحَمَامِ عَلَى الوُكُونِ(86).

أما الصورة الأخرى للطير، فهي تبعث على الشؤم والتطيُّر ولذلك عرِف عند العرب قديماً فكرة التطيُّر وزجر الطير.

إذ إنَّ الطيرذا الأسطورة المهيبة كان يوحي للإنسان الذي ربط مصيره به بأحد الأمرين القادمين معه من المجهول الخير أو الشر، وعلى هذا بنَى العربي القديم فكرة التطيّر أو عيافة الطير(87).

"والطيرة من زجر الطيور ومراقبة حركاتها، فإن تيامنتْ دلّتيامنها على فألٍ، وإن تياسرت دَلّ على شُؤم فهي تشمل اليُمن والتشاؤم، الا أنّها خُصّصت بالتشاؤم فيما بعد، فصارت تعني هذا المعنى عند الاستعمال(88).

وقال الجاحظ:"وأصل التطيُّر إنما كان من الطير ومن جهة الطير، اذا مرّ بارحاً أو سانحاً، او رآه يتفلى وينتف، حتى إذا عاينوا الأعور من الناس أو البهائم، أو الأعضب، أو الأبتر، زجروا ذلك وتطيرواكما تطيروا من الطير اذا رأوها على تلك الحال، فكان زجر الطير هو الأصل ومنه اشتقّوا التطير، ثم استعملوا ذلك في كل شيء(89).

ومن هنا كان زجر الطير عندهم مبنياً على استجلاء الخير والشر الذي ينتظر الإنسان في حياته، ومن هنا نبعت فكرة التشاؤم والتفاؤل.

"وقد شاع في العرب زجر الطير والوحش وإثارتها فماتيامن سموه سانحاً، وما تياسر سموه بارحاً، وما استقبلهم فهو الناطح، وما جاء من خلفهم فهو العقيد(90).

وقد اختلفوا في تفاؤلهم وتشاؤمهم بها فمنهم من كان يتشاءم بالبارح،لأنه لا يمكن رميه إلا بالانحراف إليه، ويتبرك بالسانح ومنهم من يرى عكس ذلك.

قال زياد بن الأعجم:

دَفَّـــاعَ أَلْوِيَـــةِ الحُـــرُوبِ إلـــى العِـــدَى بِسُعُودِ طَيْرٍ سَوَانِحٍ وبَوَارِحِ(91).

وقد تشاءموا بطيور أخرى منها: الجراد، لأنَّ منه معنى الجرد، ولأنه ذو ألوانٍ، والجراد من معانية القحط والمنع والتعرية والبلى وإلى الجراد يشير الشاعر دريد بن الصمة وهو يشر إلى معنى سلبي وهو القتل والموت، فتشبيهه للخيل بالجراد دلالة على حصول الموت المحقق الذي لا مفر منه:

وكمّـــا رَأَيْـــتُ الخَيْـــلَ قُـــبلاً كَأَنَّهـــا جَـــرَادٌ تَبَـــارَى وَجهَـــةَ الـــرِّيحِ مُغْتَـــدي
فمَـــا فتَئِـــوا حَتّـــى رَأَوهـــا مُغِيـــرَةً كَرِجْـــلِ الـــدُّبَى فـــي كُـــلِّ رَبْـــعٍ وفَدْفـــدِ(92).

الفصل الثالث:

الإبل والمعتقد:

"كانت الإبل عنصراً فعالاً في وجدان الإنسان الجاهليّ، أثارت خياله وأذكت عواطفه وألهمته شعراً في غاية الروعة والإثارة، فقد عرف فيها بدو الصحراء صفات خارقة تناسب حياة الصحراء القاسية كالسرعة والقدرة على التحمل، والصبر على العطش والجوع ومعرفة الطرق على ظهورها حملوا متاعهم وماءهم وعتادهم وخيامهم ومن جلودها ووبرها صنعوا بيوتهم وأكسيتهم ونعالهم، ومن لبنها ولحمها أغتذوا وأكرموا الضيفان، وكانت في أغلب الأحوال رفيقة دربهم في السِلم والحرب، وفي التجارة والنزهة، وكانت أيضاً العملة التي يتعاملون بها في دفع دياتهم ومهورهم وحقوقهم وشعائر حجّهم وطقوسهم الدينيّة"[93].

فكانت مصدراً مهماً ورئيساً من مصادر حياة الإنسان الجاهلي في صحراء مقفرة مُجدبة، بل هي عماد الحياة الاقتصادية في ذلك العصر، وقد أشار القرآن الكريم إلى الإبل، ودَعا إلى التفكر في هذا المخلوق العجيب الدال على عظمة الله سبحانه وقدرته فقال تعالى" أفلا يَنظرون إلى الإبلِ كيف خُلِقتْ"[94].

"فَمِنْ الإبل حياة المجتمع، حى أنهم كانوا يفصدون الإبل يغتذون بدمها المشوي عام المجاعة [95].

وقد أشارَ الشاعر أبو زبيدإلى مفهوم (الفصيد) في قوله:

وَبِعَيْنَيــــــــــهِ إذْ يَنُــــــــــوءُ بِأَيدِيَــــــــــ هِـــــمْ ويَكبُـــو فــــي صَــــائِكٍ كَالفَصــــيْدِ[96]

الظّعَائن:

"لا يكاد الشعراء يقفون على أطلال المحبوبة الدارسة حتى يفاجئونا بحديث الطعائن، ويعيدون إلى الأذهان ذكريات المجاعة والجفاف التي ألجأت قبيلة المحبوبة إلى هجر الوطن بحثاً عن الماء الموفور والمرعى الخصيب أو ذكريات الحروب والخصومات التي مزقت أوصال القبائل تمزيقاً[97].

فعندما نمعن في قصيدة المثقب العبدي عندما ينتقل الشاعر الى وصف رحيل الهوادج على الإبل، وهي تحمل النساء يتساءل عن الهوادج التي بدت تظهر علينا من ظبيب فإنها لم تخرج من الوادي منذ زمنٍ، وهذه المراكب أي ماتحمله الإبل من نساء لا تزال تسير حتى قطعت موضعاً وكأنها سفن مُحَمّلة تُبحر في البحر، وصوّر الهوادج وقد بدت عليها الأستار الرقمية بالثياب اليمنية المزركشة، وصوّر براقع الفتيات وقد ثقبن لا ترى إلا عيونهن حمايه من الحرّ والرمال ، وقد بدت الفتيات والذهب يلوح على صدورهن البيضاء الصافية التي ليس فيها تثنٍّ مثل العاج، وقد بدت بعض محاسن الفتيات كالكف والعيون، وأخفين محاسن أخرى مثل الأعناق والصدر والجسد المستور صوناً لهنَّ.

وقد شَدَّ رحله على ناقته وقت الظهيرة، وقت اشتداد الحر في حين وضع عمامته على رأسه، وفي ذلك استعداد للرحيل، كما صور الوصل حين هجرته صاحبته حبلاً انقطع.

ويصف الناقة سريعة في سيرها، تندفع اندفاعاً، وكأن هراً شُدّ تحت غرزها فتفزع منه، كما صّورها حين تشهق الهواء فينتفخ بطنها كما تحدث عن ترك رسن الناقة وقد ترجل عنها فبركت ونامت نهاراً من شده تعبها وإذا رحل بها ليلاً تأوهت حزينة كآهة الرجل الحزين.

كما تسأله الناقة وتحاوره حين أزال عنها حزام الرحل، أهذا حال من يركبني وحالي؟ وتواصل الناقة قولها متساءلةً هل كُلّ العمر إقامة وتنقل؟ ألا يحفظني ويصونني من مشاق السفر؟ لقد ترك ركوبي الناقة في طلب اللهو والغزل ضعيفة بسبب الجدّ في سيرها فانكمشت وأصبحت خفيفة ضعيفة كدكان الخمّار المُشيّد من طينٍ.

ومما قاله المثقب العبدي:

لِمَــــــنْظُعُنٌ تُطـــــالِعُ مِــــنْ ضُــــبَيْبٍ ومـــــا خَرَجَــــتْ مـــــن الــــــوادِي لِحِــــينِ

مــــرَرْنَ علـــــى شَــــرَافَ فَـــذَاتِ رَجْــــلٍ ونَكَّـــــــــبْنَ الــــــــــذَّرَانِحَ بــــــــــاليَمِينِ

وهُـــن كَـــذَاكَ حِـــينَ قَطَعْـــنَ فَلْجـــاً كـــأَنَّ حُـــدُوجَهُنّ علـــي سَـــفِيْنِ
يُشَـــبِّهْنَ السَّـــفِينَ وهُـــنَّ بُخْـــتٌ عَرِيْضَـــاتُ الأَبـــاهِرِ والشُّـــؤُونِ
وهُـــنَّ علـــي الرَّجـــائِزِ وَاكِنَـــاتٌ قَوَاتِـــلُ كُـــلَّ أَشْـــجَعَ مُسْـــتَكِينِ[98].

ويرى أنور سويلم أنَّ "مواكب الظعْن التي يدفعها الشعراء في مجاهل الصحراء ليست إلا صورة من صور البحث عن المعبود الذي أقلق الشاعر وأحزنه الكلُّ يبحث عن الحقيقة ويسعى إليها... ولا ينتهي إلا عند منابع الماء التي تمثّل الحقيقة الضائعة المنشودة[99].

"وخروج القوم في كامل زينتهم، والنساء متعطّرات متبرّجات، يلبسنَ قلائد العاج، ويلبسن الحرير والثياب المُوشّاة والقلائد المصنوعة من العاج.

أيمكن أن يستقبلوا معبودهم بغير هذه المراسيم من الزّينة وبغير هذه المظاهر الجميلة وهل ترضى الآلهة أن يأتيها العابد أشعث أغبر؟ إنهم يعلمون وقع هذه الزّينات في نفوس الآلهة أكثر من غيرهم"[100].

"ويركب الشاعر ناقته في سبيل البحث عن المعبود... ولا يمكنك أن تقرأ وصفهم للناقة إلا أن تستحضر في ذهنك صورة الصنم الذي يقف أمامه العابد ذليلاً خاشعاً يتضرع اليه بأرق الدعاء ويخاطبه بأجمل الصفات ويتحسس أعضاءه القوية باعتزاز ونشوة غامرة فيشعر أن الإله قريب منه يرعى خُطاه ويبارك أفعاله"[101].

وصفات الناقة هي:"صفات غير محدودة، وغير متناهية ناقة أسطورية، أو ناقة وهمية لأنها تكاد تستوعب عناصر الاحياء وغير الأحياء، فالمعبود لا بد أن يحوي عناصر الكون جميعها"[102].

"فالناقة هي صانعة الخير والشر وهي صانعة الحياة والموت قواها لا يمكن تحديدها وهي المثل الأعلى للعظمة والجبروت"[103].

وتظهر الناقة في نهاية الرحلة ضعيفة هزيلة، وقد أتبعها الترحال،فتنام وقت الظهيرة من شدة التعب.

وهذه الناقة هي "ناقة السماء أو هي هذه النجوم التي تشكل في السماء "ناقة مثالية" وقد رمزوا عنها بالناقة الحيوان، ورأوا فيها تجسيداً لخصائص المعبود العُظمى... وليست هذه الأسماء أو هذه الصفات إلا تجسيداً لخصائص "ناقة السماء المثالية" التي قدسها كثير من العرب وعبدوها في صورة الجمل الأسود أو الفحل أو الناقة العسياء أو الناقة العنتريس"[104].

"فنحن أمام طقوس وشعائر يكرّرها معظم الشعراء، وتصدر عن عقل جماعي (أو فكر جماعي) وعقل متحد، لا عن إحساس فرديّ أو حالة خاصة، وهذه الشعائر تصدر عن معتقد جاهلي"[105].وقد أقرها المجتمع الجاهلي وباركها

ب- الإبل وقِرى الموتى:

كان العرب في الجاهلية يعقرون على قبور موتاهم الإبل، وقد اختلف الباحثون في الأسباب التي دفعهم إلى ذلك:

"قال ابن السيد فيما كتبه عن كامل المبرّد: اختلفَ في سبب عقرهم الإبل على القبور، فقال قوم: إنما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقره في الإبل حياته وينحره للأضياف[106].

ومنه قول زياد بن الأعجم:

قُـــلْ للقَوافِـــلِ والغَـــزِيّ إذا غَـــزَوا والبَـــاكِرينَ وللمُجِـــدِّ الـــرّائحِ
إن السَّـــماحَةَ والشّـــجاعَةَ ضُـــمِّنا قَبْـــراً بَمـــروٍ عَلَـــى الطّريـــقِ النّـــازِحِ
فـــإذا مَـــرَرْتَ بِقبـــرِهِ فَـــأْعقِرْ بِـــهِ كُـــوَمَ الهِجَـــانِ وكُـــلّ طِـــرْفٍ سَـــابِحِ

وأنْضَـــــحُ جَوَانـــــبَ قَبْـــــرِهِ بِـــــدِمَائِها فَلَقَـــــدْ يكـــــونُ أَخـــــا دمٍ وَذَبـــــائِحِ[107].

وقال آخرون:"أنهم كانوا يفعلون ذلك إعظاماً للميت لما كانوا يذبحون للأصنام، وقيل: إنّهم فعلوه لأنَّ الإبل كانت تأكل عظام الموتى إذا بُليَت،فكأنهم يثأرونَ لهم منها[108].

وقيل الإبل أنفس أموالهم، فكانوا يريدونَ بعقرها أنّها قد هانت عليهم المصيبَة[109].

وقد ظلّت هذه العادة أو (المعتقد الجاهلي) سائدة في الجاهلية إلى أن جاء الإسلام بشريعته السمحة وحرّمها، وذلك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا عقر في الإسلام".

ويعلق جواد علي على ذلك بقوله: "ولا أعتقد أنَّ نحر الإبل على القبر وتبليله بدم الإبل المذبوحة، مجرّد عادة يُراد بِها إظهار تقدير أهل الميت له، أم تمثل كرم الرجل حتى بعد وفاته، بل لا بد أن يكون هذا النحر من الشعائر الدينية والعقائد الجاهلية التي لها علاقة بالموت، وباعتقادهم أن موت الإنسان لا يمثل فناءً تامًا وإنما هو انتقال من حالٍ إلى حالٍ[110].

ويفسر الدكتور أنور أبو سويلم فكرة العقر (عقرالإبل) على قبور الموتى، وتلطيخ القبور بدمائها:"ويبدو العقر "عقر الإبل" من القضايا المهمة في المعتقد الجاهلي لأنهم لا يريدون من هذا العقر فيما أرجح إهانة للإبل أو تحطيمها لها أو موتاً للمعبود الذي تغنوا به وطالوا الغناء وإنما يريدون الاتحاد بالمعبود.

الناقة تعقر على قبر الميت لتكون بجانبه بعد الممات، والموت في المعتقد الجاهلي ليس فناءً تاماً، وإنما هو انتقال من حالٍ الى حالٍ، والموت حياة أخرى فيها ما في الدنيا من خير أو شر، وهو لذلك يريد أن يبقى المعبود إلى جانبه في الحياة الأخرى يدفع عنه الشرور ويمنحه الخير، وهذا الاعتقاد مشهود في الميثولوجيا القديمة[111].

ج– الإبل وقرى الأضياف:

عرض علينا الشعراء الجاهليون نماذج متعددة من قرى الأضياف وطُرّاق الليل والعفاة الملهوفين، والجياع المقرورين، ممن انقطعت بهم السبل وتاهت بهم الطرق في الصحراء المترامية الأطراف، وجعلتهم أكثر عرضةً للموت والهلاك، فتبرز الصحراء بصورة المعادل الموضوعي لفكرة الموت وتظهر الناقة في هذه النماذج الشعرية بصورة المنقذ من الموت والفناء والهلاك جوعاً، ولذلك فإن حياة هؤلاء الجياع المقرورين كانت مرهونة بعقر الناقة.

وتظهر عناصر صورة ناقة الأضياف جلّية في تصوير القحط والرياح الشديدة والصقيع والليل، والضيف المتهالك من شدة الجوع، بعد نفاذ زاده، والناقة الكوماء السمينة في وقت تشحُّ فيه الأمطار، ويعمّ البلاد جذب وفقر وفي ذلك يقول الأعشى باهلة:

تَنْعَـــى امـــرءاً لا تَغِـــبُّ الحَـــيَّ جَفْنَتُـــهُ إذَا الكَواكِـــبُ خَـــوَّى نَوْءَهَـــا المَطَـــرُ
وَراحَـــتِ الشَّـــوْلُ مُعْبَّـــراً مَنَاكِبُهَـــا شُـــعْثاً تَغِيْـــرُ مِنْهَـــا النّـــيُّ والـــوَبَرُ
وأَلْجَـــأَ الكَلْـــبَ مَوْقُـــوعُ الصَّـــقِيعِبِهِ وأَلجَـــأَ الحَـــيَّ مِنْتِفَاحِهـــا الحَجَـــرُ
عَلَيْـــهِ أَوّلُ زَادِ القَـــوْمِ قَـــدْ عَلِمُـــوا ثُـــمّ المَطِيُّـــإِذَا مَـــا أَرْمَلُـــوا جَـــزَرُوا[112].

ويظهر أنّ النوق كانت تتهيب الذبح إذا رأت منظر صاحبها، لأنها اعتادت مشهد العقر والذبح، بل إنها تكظماجترارها فزعاً من العقر والذبح:

قَـــدْ تَكْظِـــمُ البُـــزْلُ مِنْـــهُ حِـــيْنَ تُبصِـــرُهُ حَتّى تَقَطّعَ في أعنَاقِها الجِرَرُ[113].

"فالناقة هي مانحة الحياة لمن أشرف على الهلاك جوعاً وهي مانحة الهدايا لمن أشرف على الموت ضلالاً"[114].

د- الإبل وقرى الإيسار:

"كان العرب في الشتاء وعند الشدة البرد وجدب الزمان، وتعذر الأقوات على أهل الضروالمسكنة يتقامرون بالقداح على الإبل، ثم يجعلون لحومها لذوي الحاجة منهم والفقراء"[115].

"وخلاصة المياسرة: أن يجتمع عشرة من اللاعبين ويحضروا جزوراً يضمّنون ثمنها لصاحبها، ويدفع الثمن بعد المياسرة الغارمون وحدهم، وتجعل القداح العشرة في خريطة، وتجال وتحرك فيها ثم يخرج الحُرضة(المحكم عنهم) أول قدح باسم أحدهم على ترتيب لا نعلمه، فربما كان بجلوسهم أو أسنانهم أو تراضيهم، ويكون هذا القدح هو نصيبه، فإذا كان رابحاً عرف مقدار ربحه، وبقي القدح خارج الخريطة لا يُعاد إليها، ثم يخرج قدحاً باسم الثاني، ويعرف مقدار ربحه وهكذا إلى العشرة، وكلّ رابح يأخذ ما خرج له، والثلاثة الذين تخرج لهم القداح التي لا نصيب لها هم الذين يُغرّمون ثمن الجزّور فيقسم عليهم أثلاثاً..." [116].

ولا نكاد نجد اختلافاً بين ناقة الأضياف وناقة المسير فهي تعقر في وقت اشتداد الجدبْ، وإذا ما الشول روّحها الضعف والهُزال، ولم يُسمع لفحلها هَدُر، في هذا الوقت تنقطع فيه ألبان الإبل، وتعمّ المجاعة، ولكن هذه الناقة لا تعقر للتائهين وطُرّاق الليل والأضياف، وإنما تعقر للجيران وأبناء القبيلة.

فهو يعقر ناقته عند اشتداد الجدب،وانقطاع اللبن عن الإبل، فيذبح ناقته إذا نودي للأيسار، فتوضع في قِدْرٍ، وتُطبخ على النار، ويقسّمها على جيرانه وقبيلته، ولا يكاد يجد شيئاً يقتاتُ منه، قال الأبيرد بن المعذّر الرياحيّ.

إذا الشَّوْلُ راحَتْ وَهْيَ حُدْبٌ ظُهُورُها ... عِجَافاً وَلَمْ يُسْمَعْ لِفْحلِها هَدْرُ.

كثيرُ رَمَادِ القِدْرِ يُغْشَى فِناؤُهُ ... إذا نُودِيَ الأيْسارُ واحتضرَ الجَزْرُ

فتًى كانَ يُغْلي اللَّحم نِيْئاً وَلَحْمُهُ ... رَخِيْصٌ بكَفّيْهِ إذا تُنْزَلُ القِدْرُ

يُقَسّمُها حَتّى تَشيَعَ وكمَ يكُنْ ... كاخِرِ يُضْحَي مِنْغَبِيبَتِهِ ذُخْرٌ [117].

ويظهر من حديث الشعراء عن ناقة المسير، "أنّها حق إلهي لا بد منه حتى يُرضي المعبود، وهي تشبه الأضحية عند المسلمين"[118].

فذبح الناقة في المسير يرتبط بعقائد دينية تعّبر عن الوجدان الجمعي الجاهليّ.ع

الفصل الرابع :

المطر والمعتقد:

عُني الشعراء الجاهليون بالمطر في قصائدهم "وكانوا يصدرون في تصورهم للمطر عن فكر متحدٍ ورؤية متحدة وصور متشابهة إلى حدٍ بعيدٍ، ووحدة الصُّور تنبع في أساسها من وحدة التصور ووحدة التراث ووحدة المعتقد"[119].

فقد رأوا فيه سراً خفياً وقوة عظمى قادرة على قهر الجَدْب والمحل، وبعث الخصب والرزق تتلقاه الحناجر العطشى بشغفٍ وحُبٍّ، والصحراء العارية تستغيث به ليدفع عنها محلها وعقمها....، به يخصبون ويثرون، فتنتج قوتهم وشاؤهم، وتسمن وتتناسل وتتكاثر، تعمّهم النعمى وإذا ما انحبس المطر ابتلوا بالجوع والمرض والنهب والفتن والموت"[120].

بل هو سر الحياة على هذه الأرض، لا وجود لحياة دون وجود المطر، ولذلك ارتبط المطر عند الجاهليين بمعتقدات شتى، وهذه المعتقدات تصدر عن وعي جمعي لا فردي.

"وكان الاستسقاء بالنجوم من أهم معتقدات الجاهليين، فقد جعلوا المطر فعلاً للكواكب وحادثاً عنها، ونسبوا الأمطار والرياح إلى الساقط والطالع من النجوم وأضافوا الغيث إلى الكواكب فقالوا مُطرِنا بنوء كذا[121].

قال أعشى باهلة:

تَنْعـــى امْــرءاً لا تَغِـــبُّ الحــــيَّ جَفْنَتُـــهُ إذَا الكَواكِبُ خَوّى نَوْءَها المَطَر[122]

وقال زياد بن الأعجم:

كَــــأنَّ الرّبيــــعَ لَهُـــمْ إذا انْتَجعُـــوا النّـــدى وخَبَتْ لَوامِعُ كُلِّ بَرْقٍ لاَمِحِ[123].

كما برزت في أشعارهم ظاهرة (الدُّعاء بسقياً القبور)

"أمّا إرضاءً للصّدى أو الهامة لتهدأ الروح وتستقر وإما لاعتقادهم بأن الموتى يمارسون حياة عادية في القبر، فيعطشون ويشربون"[124].

ولأنَّ اعتقادهم بأن الإنسان حين يموت فإنه ينتقل من حالة إلى حالة أخرى، فاعتقدوا بـ"الهامة" و(الصّدى)، وهو طائر يخرج من دماغ الميت تظل تصيح وتطير حول قبر الميت، ويكون في وسعها مراقبة أهل الميت وأصدقائه، ولا تهدأ حتى تُسقى من دم القاتل[125].

قال مُتمم بن نويرة:

أقُـــولُ وقـــدْ طَارَالسَّـــنافي رَبَابـــهِ وَجَـــــــوْنٌ تَسِـــــــحُ الماءَتَزَيَّعَـــــــا
سَـــقَى اللهُ أرْضَـــاً فَوقَهـــاَ قَبْـــرُ مَالِـــكِ ذِهابَـــــــالغَوادِي المُـــــــدجِناتِ فـــــــأُمرعِ
فَــــآثَرَ سَـــــيْلَ الـــــوَادِيَيْنِ بِدِيْمَـــــةٍ تُرَشِـــحُ وَسْـــيماً مِـــنْ النَّبْـــتِ خِـــرْوَعِ[126].

فهو يدعو بالسُّقيا للأرض كُلّها من أجل قبر مالك، فكأنه بكى الموتى جميعاً ببكائه مالكاً، ولم يرَ في قبورهم سوى قبر له، وغدا كل قبر هو قبر مالك ، وغدت الأرض كلها قبراً لمالك.

والمطر الذي يسقى القبر تأتي به السحاب الغزيرة التي تغدو بالمطر وتأتي ومع نزول هذا المطر يأتي الخصب والحياة.

والمطر الذي يسقط على قبر الميت يبعث الحياة فيمن حوله فترى الرّبيع حول هذا القبر يبعث الحياة في النفس.

قال الأبيرد الرياحي:

سَــقَى جَـــدَفاً لَـــو أسْـــتطيعُ سَـــقَيْتُهُ بـــــأَوْدَ فَـــــرَوّاهُ الرَّواعِـــــدُ والقَطْـــــرُ
ولا زَالَ يَرْعَـــى مِـــنْ بـــلادٍ ثَـــوَى بِهـــا إذَا أَصَابَ الَّربيْعُ بِهَا نَضْر[127]

وقال الشّمردل بنُ شرَيك:

سَـــقَجَدَفاً أكْنـــافَ غَمْـــرَةٍ دُونَـــهُ بِهْضَـــــــــــــــــــــــبِةِكُتْمانالمُدِيْمُوَوَابِلُهْ
بِمَثْـــوى غَرْيـــبٍ لَـــيْسَ مِنّـــا مَـــزَارُه قَرِيْبـــاً ولا ذو الـــوِدّ مِنّـــا يُواصِـــلُهْ
ســقَى الصّــفراتِ الغَيْــثُ مَــا كَــانَ ثَاوِيــاً بِهِـــنّ وجَـــادَتْ أَهْـــلَ شَـــوْلٍ مَخَايِـــلُ[128].

الخاتمة

لقد خرجت في دراستي بمجموعة من النتائج تتمحور في النقاط التالية:

1. تنوع مجالات وميادين المعتقد ما بين الديني والحياتي المرتبط بالعادات والتقاليد والطقوس الاجتماعية وكذلك المرتبط بالطبيعة ومفرداتها كالمطر والحيوان.
2. ارتباط المعتقد بالأسطورة فكلاهما يجسد هاجس العربي وطقوسه وفكره .

3. ركز المعتقد الديني على قضيتي البعث والحساب ووجود حياة أخرى بعد الموت، وتمثلت هذه الفكرة في عقر الإبل على قبور الموتى أو ما يسمى بِـ(البلية) أو (العقيرة).

4. ركز المعتقد المرتبط بالطير على فكرتي التفاؤل والتشاؤم في نظرة الجاهلي للطير، وربطهم بما يحدث معهم في حياتهم اليومية، وبناء على تلك الفكرة (الخير والشرّ) صُنّفَ الطير عندهم.

5. ارتباط الناقة بالفكر الأسطوري، فهي أسطورية مثالية أُعطيت جانباً من القداسة؛ لأنها تمثل عندهم معبوداً لا مجرد حيوان عادي.

6. تداخل المطر مع مفردات أخرى عَمقت من وقع المطر في نفس العربي ومن هذه المفردات (الاستسقاء بالأنواء، وسُقيا القبور).

وفي الختام أحمدُ الله على أن يسر لي الفرصة لأقوم بهذه الدراسة البسيطة لعلها تكون بداية لدراسة أعمق في المستقبل آملةً من الله التوفيق.

المصادر والمراجع

أنور أبو سويلم، الإبل في الشعر الجاهلي، ط1، دار العلوم، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1983.

أنور أبو سويلم، المطر في الشعر الجاهلي، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان 1987م.

أنور أبو سويلم، مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي، ط1، دار عمان، 1991م.

باسم إدريس قاسم، الشاعر الجاهلي والوجود، "دراسة فلسفية ظاهرية"، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،2014م.

الجاحظ (ت255)، الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1988م.

جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط3، مكتبة النهضة بغداد، 1980.

حسين الحاج حسن، الأسطورة عند العرب في الجاهلية ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1988.

عبد القادر الرباعي، الطير والمعتقد في الشعر الجاهلي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد (29)، مجلد(8)، شتاء 1988.

عمرون عباسية "طقوس الدفن عند العرب"، دراسة في الشعر الجاهلي، مجلة مقاليد، العدد(9)، ديسمبر، 2015م.

فراس السّواح، الأسطورة والمعنى، دراسات في المثيولوجيا والديانات الشرقية،ط1، دار علاء الدين، دمشق سورية، 1997م.

فراس السّواح، دين الإنسان،ط1، منشورات علاء الدين- دمشق، سورية، 2002م.

محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط1، دار الجبل، دمشق- سورية، 2002م.

محمد أركون، العلمنة والدين،ط1، دار الساقي، لندن، 1990م.

محمد عبد المعيد خان، الأساطير والخرافات عند العرب، ط2، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1980م.

محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب عند الجاهلية ودلالاتها ط1، دار الفارابي بيروت، لبنان، 1994م.

محمود سليم الحوت، في طريق المثيولوجيا عند العرب، ط1، دار النهر للنشر، بيروت، 1983م.

محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، عني بشرحه وتصميمه محمد بهجة الأثري، ط2، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، د.ت.

مصطفى الجوزو، من الأساطير العربية والخرافات ط2، دار الطليعة، بيروت- لبنان 1980.

مصطفى جياووك، الحياة والموت في الشعر الجاهلي، ط1، دار صنعاء للنشر والتوزيع، عمان، 2012م.
مصطفى الشورى، شعر الرثاء في العصر الجاهلي، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر،1995.
ابن منظور (ت)، جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، ط6، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997م.
هواريةلولاسي، المعتقد الديني في الشعر الجاهلي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر العدد 1، 2004م.
اليزيدي (ت310)هـ، "أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي يحيى المبارك" أمالي اليزيدي، تحقيق أنور أبو سويلم، ط1، دار جليس الزمان ، عمان، 2014.

الحواشي

([1]) هواريةلولاسي، المعتقد الديني في الشعر الجاهلي، مجلة حوليّات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد 1، 2004م، ص 85.

([2]) المرجع نفسه، ص 85.

([3]) انور أبو سويلم، مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشهر الجاهلي، دار عمّار للنشر والطباعة ، عمّان،1991، ص9.

([4]) هواريةلولاسي، المعتقد الديني في الشعر الجاهلي ، ص86.

([5]) المرجع نفسه، ص86.

([6]) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط3، مكتبة النهضة، بغداد، ودار العلم للملايين، بيروت، 1980، ج6، ص11-.

([7]) المرجع نفسه، ج6 / ص12.

([8]) المرجع نفسه، ج6، ص 11.

([9]) أنور أبو سويلم، مظاهر الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي،ص 13.

([10])حسين الحاج حسن، الأسطورة عند العرب في الجاهلية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1988، ص 16.

([11]) المرجع نفسه ص 17.

([12]) محمد عبد المعيد خان، الأساطير والخرافات عند العرب، ط2، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1980، لبنان، 1980، ص16-

([13]) فراس السّواح، الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، ط1، دار علاء الدين، دمشق سورية، 1997،ص12.

([14]) المرجع نفسه، ص12.

([15])المرجع نفسه، ص13.

([16]) المرجع نفسه، ص 13-14.

([17]) محمد عجينه، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1994.

([18]) المرجع نفسه، ص5

([19]) المرجع نفسه، ص9.

([20]) مصطفى الجوزو، من الأساطير العربية والخرافات، ط2، دار الطليعة، بيروت لبنان، 1980، ص13.

([21]) محمد عجينه، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها، ص31، نقلاً عن كلود ليفي شتراوس، الأنثروبولوجيا البنيوية بالفرنسية، ص232.

([22]) انظر: حسين الحاج حسن، الأسطورة عند العرب في الجاهلية،ص26، وهواريةلولاسي، المعتقد الديني في الشعر الجاهلي، ص9.

([23]) نقلاً عن محمود سليم الحوت، في طريق الميثولوجيا عند العرب ط2، دار النهار للنشر، بيروت ، 1983، ص15، 191انظر:Arabia before mohmmad،page: O'Leary.

([24]) محمود سليم الحوت، في طريق الميثولوجيا عند العرب، ص 15-16.

([25]) المرجع نفسه، ص16، نقلاً عن Encyclobedia of isllam 1/380.

([26]) محمد عبد المعيد خان، الأساطير والخرافات عند العرب، ص 33.

([27])المرجع نفسه، ص33.

([28]) فراس السّواح، الأسطورة والمعنى، ص 21-22.

([29]) باسم ادريس قاسم، الشاعر الجاهلي والوجود (دراسة فلسفية ظاهراتية)، ص93.

([30]) باسم ادريس قاسم، الشاعر الجاهلي والوجود (دراسة فلسفية ظاهراتية)، ص93.

([31])المرجع نفسه، ج6، ص 123.

([32]) ابن منظور، لسان العرب، 147/10 (مادة، زهق).

([33]) المرجع نفسه، 125/10 (مادة زهق).

([34]) سورة الأنعام، آية 29.

([35]) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 6 ص 127.

([36])محمد ابراهيم الفيومي، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط1، دار الجيل ، بيروت، 1991، ص438.

([37]) المرجع نفسه، ص438.

([38]) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6/ص128.

([39])مصطفى جياووك ، الحياة والموت في الشعر الجاهلي ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص89.

([40]) المرجع نفسه، ص90.

([41])مصطفى الشورى، شعر الرثاء في العصر الجاهلي، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، 1995، ص12.

([42])المرجع نفسه، ص12.

([43])البلية: ناقة يموت صاحبها ، فيحفُر لها حفرة وتشد رأسها إلى خلفها، وتُبلى أي تترك هناك لا تعلف ولا تسقى حتى تموت جوعاً وعطشاً، كانوا يزعمون أن الناس يحشرون يوم القيامة ركباناً على البلايا، أو مشاة إذا لم تعكس مطاياهم على قبورهم (اللسان: بلي).

([44]) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، عني بشرحة وتصميمه محمد بهجة الأثري ط2، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د،ت، ج2، ص 307

([45]) اليزيدي، (أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد، يحيى بن المبارك)، أمالي اليزيدي، تحقيق أنور أبو سويلم، ط1، دار جليس الزمان، عمان، 2014.

([46])المرجع نفسه، ص96.

([47])محمد شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ج2، ص199.

([48]) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج6، ص 130.

([49])محمود شكري الألولسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج2، ص 199.

([50]) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص139.

([51]) المرجع نفسه، ج6، ص140.

([52]) المرجع نفسه، ج6، ص 140.

([53]) اليزيدي، أمالي اليزيدي، ص 64- ص65.

([54]) اليزيدي، أمالي اليزيدي، ص 80- ص81.

([55]) اليزيدي، أمالي اليزيدي، ص 132- ص135.

([57]) أنور أبو سويلم، مظاهر الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي، ص175.

([58]) اليزيدي، امالي اليزيدي، ص89.

([59]) المرجع نفسه، ص 125.

([60]) محمد أركون، العلمنة والدّين، ط1، دار الساقي، لندن، 1990، ص24.

([61]) عمرون عباسيّة، (طقوس الدفن عند العرب)، دراسة في الشعر الجاهلي، مجلة مقاليد، العدد(9) د سمير 2015،ص151.

([62]) فراس السّواح، دين الإنسان، منشورات دار علاء الدين، سوريا، 2002، ص212.

([63]) عمرون عباسية، طقوس الدفن عند العرب، ص152-153

([64]) اليزيدي، أمالي اليزيدي، ص 63.

([65]) المرجع نفسه، ص82.

([66]) المرجع نفسه، 115.

([67]) المرجع نفسه، ص175.

([68]) المرجع نفسه، ص184.

([69])المرجع نفسه، ص197.

([70]) حسين الحاج حسن، الأسطورة عند العرب في الجاهلية ،ص 39.

([71]) عمرون عباسية، طقوس الدفن عند العرب، ص 153.

([72]) اليزيدي، أمالي اليزيدي، ص 64-65.

([73]) المرجع نفسه، ص 78.

([74])المرجع نفسه، ص 120-122.

([75]) المرجع نفسه، ص 207.

([76]) المرجع نفسه، ص 218.

([77]) المرجع نفسه، ص 241.

([78]) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج3، ص14.

([79]) اليزيدي، أمالي اليزيدي، ص187.

([80]) المرجع نفسه، ص 200.

([81]) عبد القادر الربّاعي، الطير والمعتقد في الشعر الجاهلي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد الثامن، شتاء 1988، ص117.

([82]) المرجع نفسه، ص117.

([80]) المرجع نفسه، ص117.

([81]) عبد القادر الرباعي: الطير والمعتقد في الشعر الجاهلي، ص 119.

([82]) اليزيدي، أمالي اليزيدي، ص87.

([83]) المرجع نفسه ، ص156-157.

([84]) المرجع نفسه، 218-219.

([85]) المرجع نفسه، ص 220-222.

([86]) المرجع نفسه، ص398.

([87]) عبد القادر الرباعي، الطير المتقدين في الشعر، ص137.

([88]) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج6، ص786.

([89]) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن محبوب، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1988،ج3 ،ص238.

([90]) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج3، ص307.

([91]) الجاحظ، الحيوان ، ج3، ص 136.

([92]) اليزيدي، أمالي اليزيدي، ص 168-169.

([93]) أنور أبو سويلم، الإبل في الشعر الجاهلي، ط1، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية ، 1983، ص 15.

([94]) سورة الغاشية، أية 17.

([95]) أنور أبو سويلم، الإبل في الشعر الجاهلي، ص21-22.

([96]) اليزيدي، امالي اليزيدي، ص86.

([97]) أنور أبو سويلم، الإبل في الشعر الجاهلي، ص31.

([98]) اليزيدي أمالي اليزيدي ، ص 390 -400.

([99]) أنور أبو سويلم، الإبل في اشعر الجاهلي، ص 269.

([100]) أنور أبو سويلم، الإبل في الشعر الجاهلي، ص 269.

([101]) المرجع نفسه، ص 269.

([102]) المرجع نفسه، ص 270-271.

([103]) المرجع نفسه، ص 273.

([104]) أنور أبو سويلم، الإبل في الشعر الجاهلي 279.

([105]) المرجع نفسه، ص 280.

([106]) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 310/2.

([107]) اليزيدي، أمالي اليزيدي، ص60-68.

([108]) حسين الحاج حسن الأسطورة عند العرب في الجاهلية، ص 67-68.

([112]) المرجع نفسه، ص69.

([113])جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 130/6.

([114])أنور أبو سويلم، الإبل في الشعر الجاهلي، ص 275-276.

([115]) اليزيدي، أمالي اليزيدي، ص101-102.

([116]) المرجع نفسه، ص103.

([117]) أنور أبو سويلم، الإبل في الشعر الجاهلي، ص130.

([118]) المرجع نفسه،ص131.

([119]) الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، 65/3.

([120]) اليزيدي، أمالي اليزيدي، ص 147-148.

([121]) أنور أبو سويلم، الإبل في الشعر الجاهلي، ص277.

([122]) أنور أبو سويلم، المطر في الشعر الجاهلي، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع. عمان، 1987، ص6.

([123]) المرجع نفسه، ص11.

([124]) المرجع نفسه، ص58.

([125]) اليزيدي، أمالي اليزيدي ، ص101.

([126]) المرجع نفسه، ص74.

([127]) أنور أبو سويلم، المطر في الشعر الجاهلي، ص80.

([128]) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص140.

([129]) اليزيدي ، أمالي اليزيدي، ص125-126.

([130]) المرجع نفسه ، ص 144.

([131]) المرجع نفسه، ص 154-155.